(٢١) [الكبير]

جاء ذكر اسمه سبحانه (الكبير) في القرآن في ستة مواضع منها:

قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ [الرعد: ٩].

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٠ ﴾ [لقمان: ٣٠]، [ومثل هذه الآية في سورة الحج: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣ ﴾ [سبأ: ٢٣].

وقوله سبحانه: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢ ﴾ [غافر: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۝٣٤ ﴾ [النساء: ٣٤].

ويلاحظ في هذه الآيات اقتران اسمه سبحانه (الكبير) باسمه - عز وجل - (المتعال)، (العلي) وسيأتي - إن شاء الله تعالى - بيان وجه هذا الاقتران.

المعنى اللغوي (للكبير):

«الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر. يقال: هو كبير وكبَار، وكبَّار .. ومن الباب الكِبَر: وهو الهرم، والكبر: العظمة. وكذلك الكبرياء، ويقال: ورثوا المجد كابرًا عن كابر أي: كبيرًا عن كبير في الشرف والعز»[(١)].

(١) انظر: مقاييس اللغة (كبُرَ).

معناه في حق الله تعالى:

قال الخطابي: «الكبير: هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن. فصغر دون جلاله كل كبير، ويقال: هو الذي كبر عن شبه المخلوقين»[(١)].

وقال الزجاجي: «والكبير: العظيم الجليل؛ يقال: فلان كبير بني فلان، أي: رئيسهم وعظيمهم، ومنه قوله: ﴿ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾ [الأحزاب: ٦٧]، أي: عظماءنا ورؤساءنا. وكبرياء الله: عظمته وجلاله) [(٢)].

وقال ابن جرير: « (الكبير) يعني العظيم الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه»[(٣)].

ويقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عن أسمائه: (المجيد الكبير، العظيم): «وهوالموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال الذي هو أكبر من كل شيء وأعظم من كل شيء وأجل وأعلى، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له والتذلل لكبريائه»[(٤)].

وما سبق أن قيل في أسمائه سبحانه: (المتكبر، العظيم) يصلح أن يقال هنا للتشابه بين هذه الأسماء الحسنى.

وإن من أعظم الأذكار التي يحبها الله - عز وجل - والتي شرعها في

---

(١) شأن الدعاء ص ٦٦.

(٢) اشتقاق الأسماء ص١٥٥.

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٧٥.

(٤) تفسير السعدي ٦/ ٤٨٧.

كتابه وسُنة نبيه ﷺ: ذكره سبحانه بالتكبير؛ وذلك بقول: «الله أكبر». ولو تتبعنا المواطن التي شرع فيها هذا الذكر العظيم المحبوب لله تعالى وندب الناس إليه وحثهم عليه لوجدناها كثيرة جدّاً.

فمن ذلك:

١- قول الله تعالى بعد آيات الصيام:﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ والمقصود به التكبير ليلة عيد الفطر إلى أن تنقضي الصلاة.

٢- وقوله - عز وجل - عن ذبح الأنساك في الحج: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ [الحج: ٣٧].

٣- قول: « الله أكبر» للدخول في الصلاة، فتحريم الصلاة التكبير، وتحليلها السلام.

٤- وكذلك تكرار التكبير للانتقال من ركن إلى ركن في الصلاة.

٥- الإتيان به في الأذان والإقامة في أولها وآخرها وبصورة مكررة.

٦- عند الشروع في الطواف حول الكعبة، وعند محاذاة الحجر الأسود في كل شوط.

٧- عند الصفا والمروة في السعي بينهما.

٨- عند ركوب الدابة في السفر، وعند الارتفاع على كل شرف من الأرض.

٩- عند رمي الجمرات في الحج.

١٠- مشروعيته في عشر ذي الحجة وأيام التشريق.

١١- مشروعيته مع التسبيح والتحميد عقب صلاة الفريضة.

١٢- مشروعيته مع التسبيح والتحميد عند النوم.

١٣- مشروعيته مع التسبيح والتحميد عند ما يتعارّ الإنسان من نومه.

١٤- عند رؤية الهلال في أول الشهر.

١٥- الذكر المطلق بالتكبير والتحميد والتسبيح والتهليل، وأنهن الباقيات الصالحات وأنهن من أحب الكلمات إلى الله تعالى.

١٦- قول: «بسم الله والله أكبر» عند ذبح الأضحية والهدي، والذبح عمومًا.

١٧- قولها في الجهاد في سبيل الله تعالى وأثر ذلك في هزيمة الأعداء وسقوط المدن، كما قالها الرسول ﷺ في فتح خيبر، وكما أخبر الرسول ﷺ عن الجيش الذي يغزو القسطنطينية في آخر الزمان وأنه بالتكبير تسقط جوانب المدينة جانبًا جانبًا.

١٨- عند رؤية آيات الله - عز وجل - وعند التعجب وتعظيم الله - عز وجل - وقد أوردت الأمثلة السابقة دون أدلتها طلبًا للاختصار ولاستفاضة صحتها ومعرفتها عند العام والخاص، كالتكبير في الصلاة والأذان، والأذكار دبر الصلوات، ومن أراد الوقوف على أدلة كل حالة فليرجع إلى ذلك في مظانها ككتب الأذكار والدعوات.

وأود في هذه العجالة الوقوف عند هذا الذكر الجليل وما يحمله من معاني العظمة، والجلال، والكبرياء، وما ينبغي أن يثمره في قلب المؤمن وأعماله من الآثار التي تدل على تكبير الله – عز وجل – وتعظيمه، وتعظيم أوامره؛ قال الله – عز وجل –: ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١١].

وبالتأمل في هذه المواطن والأحوال التي شرع فيها هذا الذكر العظيم نجده إما قبل الشروع في عبادة أو بعدها، أو في المواضع الكبار التي يجتمع فيها الناس، أو في حضور عدو من شياطين الجن أو الإنس، أو عند رؤية آية من آيات الله – عز وجل –.

وعن سر التكبير في هذه المواطن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – بعد أن ساق بعض هذه المواضع: «... وهذا كله يبين أن التكبير مشروع في المواضع الكبار لكثرة الجمع، أو لعظمة الفعل، أو لقوة الحال أو نحو ذلك من الأمور الكبيرة ليبين أن الله أكبر وتستولي كبرياؤه في القلوب على كبرياء تلك الأمور الكبار؛ فيكون الدين كله لله، ويكون العباد له مكبرين، فيحصل لهم مقصودان: مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد الطالب لكبريائه»[(١)].

وعن معنى «الله أكبر»: يقول رحمه الله تعالى: «وفي قول «الله أكبر» إثبات عظمته، فإن الكبرياء يتضمن العظمة، ولكن الكبرياء أكمل ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول «الله أكبر» فإن ذلك

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٢٩.

أكمل من قول الله أعظم»[١].

ويقول الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – عن معنى التكبير: «... فالله سبحانه أكبر من كل شيء، ذاتًا وقدرًا وعزة وجلالة، فهو أكبر من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله»[٢].

ويفصل ابن القيم – رحمه الله تعالى – سر التكبير في بعض المواضع فيقول عن التكبير للدخول في الصلاة: «... لما كان المصلي قد تخلى عن الشواغل وقطع جميع العلائق وتطهر وأخذ زينته وتهيأ للدخول على الله تعالى ومناجاته، شرع له أن يدخل دخول العبيد على الملوك، فيدخل بالتعظيم والإجلال، فشرع له أبلغ لفظ يدل على هذا المعنى وهو قول: «الله أكبر» فإن في اللفظ من التعظيم والتخصيص والإطلاق في جانب المحذوف المجرور بمن ما لا يوجد في غيره»[٣].

ويقول أيضًا عن سر التكبير في الصلاة «.. فإن العبد إذا وقف بين يدي الله – عز وجل – وقد علم أن لا شيء أكبر منه، وتحقق قلبه ذلك وأشربه سره استحيا من الله ومنعه وقاره وكبرياؤه أن ينشغل قلبه بغيره وما لم يستحضر هذا المعنى فهو واقف بين يديه بجسمه، وقلبه يهيم في أودية الوساوس والخطرات، وبالله المستعان، فلو كان الله أكبر من كل شيء في قلب هذا لما اشتغل عنه بصرف كلية قلبه إلى غيره، كما أن الواقف بين يدي الملك المخلوق لما لم يكن في قلبه أعظم منه لم يشغل قلبه

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٥٣.

(٢) الصواعق المرسلة ٤/ ١٣٧٩.

(٣) بدائع الفوائد ٢/ ٢٢.

بغيره، ولم يصرفه عنه صارف»[1].

وعن سر التكبير عند رؤية الحريق وأثر ذلك في إخماده يقول رحمه الله تعالى: «... لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها، وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشياطين بمادته وفعله، كان للشيطان إعانة عليه، وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد، وهذان الأمران وهما العلو في الأرض والفساد، هما هدي الشيطان وإليهما يدعو وبهما يهلك بني آدم. فالنار، والشيطان كل منهما يريد العلو في الأرض والفساد. وكبرياء الرب - عز وجل - تقمع الشيطان وفعله، ولهذا كان تكبير الله - عز وجل - له أثر في إطفاء الحريق، فإن كبرياء الله - عز وجل - لا يقوم لها شيء، فإذا كبر المسلم ربه، أثر تكبيره في خمود النار وخمود الشيطان التي هي مادته فيطفئ الحريق وقد جربنا نحن وغيرنا فوجدناه كذلك والله أعلم»[2].

ويقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٥]: «أي: تعظموه وتجلوه على ما هداكم، أي: مقابلة لهدايته إياكم، فإنه يستحق أكمل الثناء وأجل الحمد، وأعلى التعظيم»أهـ[3].

وقد ورد ذكر التكبير على الهداية في موضعين من القرآن:

الأول: بعد ذكر الصيام وما شرعه الله - عز وجل - فيه من الرخصة

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ١/ ٦٤.

(٢) زاد المعاد ٤/ ٢١٢، ٢١٣.

(٣) تفسير السعدي ٣/ ٢٩٣.

والتيسير، قال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقد أخذ كثير من المفسرين من هذه الآية مشروعية التكبير بعد رؤية هلال شهر شوال إلى انقضاء صلاة العيد.

والثاني: بعد قضاء مناسك الحج، وعند ذبح الهدي والأضاحي، قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج: ٣٧] وعن مشروعية التكبير على الهداية يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ولهذا شرع التكبير على الهداية والرزق والنصر، لأن هذه الثلاثة أكبر ما يطلب العبد وهي جماع مصالحه. والهدى أعظم من الرزق والنصر، لأن الرزق والنصر قد لا ينتفع بهما إلا في الدنيا، وأما الهدى فمنفعته في الآخرة قطعًا» أهـ[1].

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الكبير):

يراجع ما كتب عن آثار الإيمان باسميه سبحانه (المتكبر، العظيم).

اقتران اسمه سبحانه (الكبير) باسمه سبحانه (العلي)، وباسمه سبحانه (المتعال):

ورد اقتران اسمه سبحانه (الكبير) باسمه سبحانه (العلي) في سورة الحج، وسورة لقمان ، وسورة غافر، وسورة سبأ، وسورة النساء وقد سبق ذكر هذه الآيات فليرجع إليها.

أما اقتران اسمه سبحانه (الكبير) باسمه سبحانه (المتعال) فلم يرد

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٢٩.

إلا مرة واحدة في سورة الرعد، وقد سبق ذكر هذه الآية، ويمكن أن يقال عن المعنى الزائد المستفاد من الجمع بين (العلي) (والكبير) ما قيل سابقًا في اقتران اسمه سبحانه (العلي) باسمه سبحانه (العظيم) فليرجع إليه، كما يمكن أن يضاف ما ذكره الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ في سورة سبأ حيث يقول: «وهو (العلي) بذاته فوق جميع المخلوقات وقهره لهم وعلو قدره، لما له من الصفات العظيمة، الجليلة المقدار. (الكبير) في ذاته وصفاته ومن علوه أن حكمه تعالى، يعلو وتذعن له النفوس، حتى نفوس المتكبرين والمشركين»[1].

۞۞۞

(١) تفسير السعدي ٤/ ١٨٨.